# تحديات ومواقف من حياة مولود قاسم

أ.محمد فارح *

## 1. بين التحديات والمواقف

التحديات جمع مفرده التحدي، والتحدي معناه المباراة والمنازعة في أمر، أو مبارزة والمنافسة والمعارضة في فعل، يقال : تحدى فلان فلانا في أمر أو فعل : إذا باراه فيه أو نازعة الغلبة، أو طلب مبارزته فيه، وفعله المجرد : حداه – يحدوه... وقد اتسع استعماله : أي استعمال لفظ التحدي في الدلالة على معان متعددة كالإثارة، والاستفزاز، والعدوان على القيم، واختراق الحدود حتى صار نظرية حضارية، اسمها " نظرية التحدي" عند فيلسوف الحضارة البريطاني المعاصر : الدكتور "توينبي".

*. عضو المجلس الإسلامي الأعلى.

أما المواقف فجمع أيضا. مفرده الموقف، والموقف في أصل استعماله ودلالته معناه الموضع أو المكان الذي يقف فيه الإنسان حيث كان، ثم تطورت دلالته ونما استعماله، واكتسب معاني مولدة، أقر بعضها مجمع اللغة العربية في القاهرة كاستعماله أي استعمال الموقف في الدلالة على الاتجاه أو الرأي أو الاهتمام أو الغرض أو الحكم فإذا قال القائل : موقف الشريعة الإسلامية من المسألة الفلانية كان المعنى حكم الشريعة في المسألة الفلانية.

وإذا قال قائل آخر : موقف المجلس الإسلامي الأعلى من القضية الأخرى كان المعنى رأي المجلس فيها. وهكذا تتطور المعاني وتتعدد بتطور الاستعمال وتعدده.

## 2. رجل التحديات والمواقف

حياة مولود قاسم تتدفق بالتحديات الحية وتطفح بقوة المواقف الشريفة والآثار الإيجابية النبيلة صاحبته من أيام طفولته وصنعت آماله في شبابه ولازمته طوال العمر وأجبرته أن يجرب في سبيل ذلك الحلو والمر وفرضت عليه أن ينتقل من الجزائر إلى تونس ومن تونس إلى القاهرة ثم من القاهرة إلى عوالم أخرى في أوربا وعلمته أن العلم سبيل القوة وطريق السيادة وأن الجهل سبيل الضعف وطريق العبودية. فحرص على تحصيل العلم والانتقام من الجهل في نفسه وفي وطنه وفي أبناء شعبه...وساعده على ذلك إخلاصه وغيرته العربية الإسلامية على مقومات شخصيته وقدرة قواه العقلية على استيعاب مواهب عبقريته...

إن الرجل كان رجالا جمع في تفكيره بين الفكر الديني والفكر اللغوي والفكر الأدبي والفكر الفلسفي والفكر الفقهي والفكر السياسي الدبلوماسي والفكر العلمي والفكر العملي والفكر الموسيقي والفني وإذا راجع الإنسان مسيرة حياته واستنطق آثاره أدرك جوانب عبقرية هذا الرجل العالم الذي تمثل شخصيته موسوعة علمية أو دائرة معارف مختلفة وإذا كان الوقت لا يسمح بتوضيح جوانب هذه الموسوعة فإني أشير إلى نقاط قد تساعد على إضاءة أبعاد أخرى في هذه الشخصية الفذة ومن تلك النقاط ما يأتي :

أ- السموُّ في النزاهة والعفاف والقناعة فقد روي أنه سافر إلى الخارج في مهمة رسمية وأعطي مقدارا معينا من المال كما ينص على ذلك نصوص التكاليف بمهمة رسمية فسافر إلى الخارج وحده أو على رأس وفد جزائري وصرف من ذلك المال ما صرف وما بقي أرجعه إلى خزينة الدولة عقب عودته إلى الجزائر، ورفض الاحتفاظ به لنفسه..

ب- النقطة الثانية : لقد وقع له تخثر أو تحجر في الدم نقل إثره إلى المستشفى مصطفى باشا ولما علمت بذلك سارعت إلى زيارته أو عيادته في المستشفى قبيل وفاته مع بعض الإخوان وفي أثناء الحديث عبر عن تحسره وتمنى أن يعود إلى التعليم الأصلي ويفتح كلية طبية إسلامية...

ج- النقطة الثالثة هي أن الرجل كان يرى ويعتقد أن وطن الإنسان الروحي هو هويته وأن من يبتعد عن هويته ويتجرد من إنيته يفقد ذاته ويضيع وطنه وإذا فقد الذات وأضاع الوطن فماذا بقي له ؟..

د– النقطة الرابعة : مولود قاسم عشق الجزائر وعشق وطنيتها وعشق لغتها العربية الإسلامية وتفانى في خدمتها وتعلق بكل شيء تذكر فيه الجزائر ولعل تسمية ابنه يوغورطة يرتبط بهذا الإحساس ويرجع إلى هذا الاعتبار كما أن تسمية ابنته الجزائر أو جزائر يدخل في هذا الاعتبار..

عاب بعض أصدقائه عليه أن يسمي ابنه يوغورطة لاعتقادهم أن هذا الاسم جاهلي هناك أسماء عربية إسلامية كثيرة في الجزائر كان في إمكانه أن يختار اسما منها لابنه. ولكن من يتأمل مواقف مولود قاسم ويتتبع مواطن هيامه بالجزائر يجده يعشقها ويعشق كل ما فيها يعشق أرضها وترابها وماءها وهواءها وأسماءها وجبالها وإحساسه بها لا يتوقف عند الانتماء بل كان يريد ويعمل أن تبقى قلعة الحرية والتحرير الحصينة بعروبتها وإسلامها وتاريخها وجهادها.

هـ– النقطة الخامسة : مولود قاسم ساهم في خدمة الجزائر ولغتها ودينها وتاريخها بل وقف نفسه على خدمة اللغة العربية والإسلام في الجزائر وكان يحرص دائما أن يقاوم الانحراف والاعوجاج في اللغة والدين والتاريخ ويقول إن استقامة المعاني والدلائل من استقامة الألفاظ والتراكيب والأساليب.

و– النقطة السادسة : سهر مولود قاسم على تعميم اللغة العربية وحمايتها وترقية استعمالها ومن نماذج ذلك حرصه على تقديم الاسم على اللقب إذا اجتمعا وكتب في ذلك يقول : " لا تقولوا : زيغود يوسف وطالب عبد الرحمن، وعبان رمضان، وعيسات إيدير – بل قولوا :

يوسف زيغود، عبد الرحمن طالب، رمضان عبان، إيدير عيسات..." وهكذا وكان إذا سمع أحدهم يقول "الـــهَوية" بفتح الهاء قال له : تسقط فيها وحدك قل "الـــهُوّيّة" بضم الهاء وهي التي يكون بها الإنسان هو..

ز- النقطة السابعة : هي أن اللغة العربية اليوم في أشد الحاجة إلى رجل مثل مولود قاسم وإلى مواقفه وتحدياته وجهاده وتفانيه... وقد فقدت فيه رجلا عظيما من عظماء رجالها ومجاهدا من المجاهدين الأبطال في سبيلها وخسرت بوفاته مقاوما وطنيا ومبدئيا ثابتا لا يضعف ولا يلين.

### 3. من مواقف مولود قاسم وآرائه

مواقف مولود قاسم ثابتة وآراءه متماسكة وتحدياته هادفة متعددة مترابطة لا ينفصل بعضها عن بعض ولا يناقض بعضها بعضا بل تتكامل كلها وتتعاون على خدمة قضية واحدة هي الجزائر وخدمة عروبتها وإسلامها وحريتها وشخصيتها وأمتها وتقدمها وترقية الإنسان فيها والجهود التي بذلها والأعمال التي قام بها مختلف مراحل حياته لم تخرج عن هذا النطاق وإنما تصب كلها في هذا الاتجاه تتحرك في ظلاله. ولعل الموقف الأول في حياته يجسمه بحثه عن الثقافة العربية الإسلامية التي حرم منها في بلده ووطنه فذهب يبحث عنها في البلدان العربية الشقيقة وهذا الموقف نفسه ينطوي على مواقف وتحديات مركبة ويعبر عن طموح في طلب العلم وسعي في سبيل الحرية كما يعبر عن رفضه للاستعمار وعن رغبته في المغامرة والمقاومة وتصلبه في مواقع الدفاع عن عزة الجزائر وسمعتها وكرامتها...وإذا راجع الباحث اليوم تلك المواقف والتحديات

وجدها تنبعث من موقفه الأول الذي صاغ شخصية، ورسم طريقه، وحماه من الاندماج والذوبان في غير أصوله، وسلحه بقوة الإرادة والصبر، وسلامة التفكير وسموّ المقصد ؛ ويمكن أن تعين على إدراك ذلك الملاحظات الموقفية الآتية :

1. **التربية والتعليم والتكوين** : الملاحظة الأولى خلاصتها أن مولود قاسم كان يعتقد أن التعليم هو الأساس في بناء الأمة، وهو الوسيلة الأولى في بعث الحياة المتجددة فيها، وإيقاظ وعيها، وترقيتها، وتطويرها ؛ وكان -رحمه الله- يقول ويتساءل : ما الفائدة من الشؤون الدينية بغير تعليم يغذيها ويكوّن رجالها، ولذلك عمل في سبيل توسيع التعليم الأصلي وترسيمه، ودعمه بمدارس تكوينية وثانويات أصبحت تنافس مؤسسات وزارة التربية وتتفوّق عليها في المسابقات بين الثانويات ؛ كما سهر على دعم التعليم بالتربية وتجديد التكوين...

2. **الأركان العلمية الثقافية الثلاثة** : الملاحظة الثانية هي أن التعليم الأصلي ركن علمي قويّ عززه مولود قاسم بركنين آخرين كان لهما الذكر الحسن في مختلف أنحاء العالم، وهما مجلة "الأصالة" للدراسات الفكرية والتاريخية والأدبية، وملتقيات الفكر الإسلامي، وقبلهما المعاهد الإسلامية ؛ وهذه الأركان الثلاثة كان المرحوم مولود قاسم حريصا على العناية بها والاهتمام بأوضاعها المادية والمعنوية حتى بلغت قمة النجاح، وأصبحت الملتقيات جامعة إسلامية متنقلة، وميدان حوار ديني وسباق فكري، يلتقي في رحابها كل سنة علماء الإسلام ورجال الفكر من شتى

أنحاء الدنيا، يدرسون ويناقشون، ويتحاورون في الموضوعات الإسلامية والإنسانية، وكبرت المعاهد الإسلامية فصارت مدارس وثانويات تتوج الدراسة فيها بشهادتي الأهلية والبكالوريا، وعلى جانب تلك الأركان أنشأ ثلاثة مراكز أساسية لتكوين الأئمة، وأنشأ المركز الثقافي الإسلامي، وحرّك النشاط الثقافي المسجدي، وبعث الحيوية في أعمال الأئمة فلم تبق محصورة في الصلوات الخمس...

3. **الإسلام دين ودولة ونظام اجتماعي كامل** : الملاحظة الثالثة هي أن الإسلام، في فهم مولود قاسم، لا ينحصر في عبادة الصلوات الخمس والوضوء لها، بل الإسلام عنده حياة شاملة، تجتمع فيه الدنيا والآخرة، فهو دين العمل والكفاح والجهاد والإنجاز، والإنتاج في الدنيا، ودين النجاح والنجاة في الآخرة، وهذه باب للأولى، ﴿**وَمَنْ كَانَ فِي هَذِهِ أَعْمَى فَهُوَ فِي الآخِرَةِ أَعْمَى وَأَضَلُّ سَبِيلاً**﴾[1] ومن سعد بالعمل الصالح في الدنيا ضمن لنفسه النجاة في الآخرة،... والإسلام عقائد، وعبادات وأعمال وتنظيمات أخلاقية وسياسية واجتماعية واقتصادية.

4. **الدين والسياسة** : الملاحظة الرابعة هي أن مولود قاسم كان يعتقد أن الدين الإسلامي لا يفرق بين الدين والسياسة، وكان يرى أن "إبعاد السياسة عن المسجد غير ممكن بتاتا وإلا أصبح مقبرة"، وأكد هذا غير ما مرة، وقال : "الكنيسة في المسيحية جعلت معبدا فقط. أما الجامع في الإسلام فقد كان جامعة للعلم، ثم كان مجلس قضاء للفصل في الأمور

1. الإسراء، 72.

والقضايا، وكان مجلس حرب للإعلان الجهاد وعقد السلم، وكان دار عبادة". لكنه فرق بين الجامع والمسجد فذكر "أن المسجد للصلوات فقط مهما يكن حجمه، ولو كان يتسع لأثنى عشر شخصا فقط، أما الجامع فهو يجمع الأمة في الجمعة..."

5. **المسلمون والدعوة الإسلامية** : الملاحظة الخامسة هي أن الدعوة الإسلامية، في مفهوم مولود قاسم، لا تعني كسب مسلمين جدد يضاف عددهم إلى عدد المسلمين السابقين، وإنما تعني أن يقع التركيز بالدرجة الأولى في الدعوة الإسلامية الحديثة على أبناء المسلمين وبناتهم لكي لا ينسلخوا من الإسلام ويفروا منه، وهذا قبل السعي لكسب مسلمين جدد من ألمانيا، وبريطانيا، وأمريكا، أو اليابان، أو غيرهم. لن العبرة بالكيف وليس بالكمِّ...

6. **اللغة العربية والدين والوطنية** : الملاحظة السادسة خلاصتها أن اللغة في توجيه مولود قاسم، هي "القوة العليا الأولى في الأمة، وهي الجنسية، والهوية، والحرية". وهكذا يلح أن تكون اللغة العربية، زيادة على أنها جزء لا يتجزأ من الإسلام كما يلح على ضرورة استعمالها والتكلم بها، وترقية استعمالها في الألسنة والأقلام...

7. **توحيد المواسم والأعياد الدينية في العالم الإسلامي** : الملاحظة السابعة هي أن "مولود قاسم" كان متحمسا لتوحيد الأعياد الدينية في العالم الإسلامي، وبذل في سبيل ذلك كل طاقته العلمية والفكرية، ولكن أمور المسلمين ما تزال جامدة، ولم يهتدوا على تحقيق الوحدة الدينية التي تمثل الأساس في تحقيق الوحدة السياسية والفكرية...

**8. تحديد النسل وتنظيمه** : الملاحظة هي أن تحديد النسل، في مواقف مولود قاسم، دعاية استدمارية بحتة، هدفها منع المسلمين أن يصبح عددهم مليارين أو ثلاثة ملايير، رأيه أن تحديد النسل خطأ كبير جدا، وحل من حلول الكسالى، والصواب أن يضاعفوا الإنتاج، ويزرعوا تلك الأراضي الخصبة الشاسعة في الجزائر، ومصر وليبيا، والمغرب وتونس، والعراق وسوريا وغيرها، ويستثمروا ما لديهم من خيرات متعاونين متضامنين، وبذلك يخرجون من منطقة الفقر والفقراء، ويدخلون في جماعة الأقوياء والأغنياء.

**9. الحج، والمرأة، والتاريخ والموسيقى والتعريب** : الملاحظة التاسعة هي أن مولود قاسم آلمته وضعية الحج فنادى بإصلاح أدائه، وأحب أن تقوم المرأة بوظيفتها الأسرية والتربوية، وتبنّى رأي الإمام عبد الحميد ابن باديس في ذلك ودعا إلى تعليمهن، وتعلق بالتاريخ ورغب في دراسته وإحيائه، وأغرم بالموسيقى العالمية فحث على إعطاء الموسيقى الوطنية ذلك البعد، وخدم اللغة العربية وعمل في سبيل تعريب الأمخاخ والقلوب...